

(١)

عد يا عبدالله!
إذا عرف جسدي الضرب جد التورم من ذاك السمين القصير،
القصير الدميم، القادم على ظهر بغلته صحت بلا صوت: عد يا عبدالله
وخيتني حيث أنت.

حيث أنت خيتني.

قل لربك تحت أي سماء أظنك أن لا يقف لي بالمرصاد. قل له ألا

يعاقبني.

قل لربك الذي تقدس في السماء أن يأخذ الدميم القصير إلى مكان ما
تحت عرشه. أو ليلق به في زاوية من الجنة. أو في سرداب من جهنم. أو
لينسه في منزلة بين المنزلتين.

قل له إن ظهري لن يحتمل الضرب ليلة والفحولة ليلة.

قل له إن الدميم يجري في دمه هوى القعود بين شعبها الأربع والعفس
الشديد والجمع بين الركبة والوريد فليخصص له من الحور العين
سبعين يلقاهن دحماً دحماً ويعدن في كل مرة أبكاراً.

الأروية

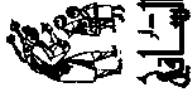
رواية

© دار الساقبي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى ٢٠٠٦

ISBN 1-85516-723-9



أما أنت فستضحك الملائكة منك حتى تستلقي على أجنحتها الفارحة.
لأنك ثور زوجوك وطلقوك.
لا تقبل يا عبدالله بدور الثور ثانية ولو ظهرت الشمس من مغربها. ولو
طويت لك الأرض مرة تلو مرة. ولو وعدت بكنوز فارس وخزائن روما.
لا تكن ثوراً دقيقة واحدة ولو كلمك الله في الواد المقدس من دون
حجاب وقلدك أوسمته ونيأشيه.
وسارع فأوجز له الحكاية في كلمتين كما تفعل الثيران الحكيمة منذ
أيام الأنبياء والصالحين.
ذكره أن الاستماع إلى الثيران ما ضر حياته السرمدية.
أعلمه كيف أرادوها لك فرائشاً فجاءت بالمرض في أعطافها. وأرادوك
لها ستراً فكنت لها قبراً.
أعلمه أن الحياة مضت بك بين السجود لعظمته واعتلاء البقرة الودود.
بين اللذات العلوية في حضرته والسفلية في حضرة ساقها
المفرجتين، ثم ما ازددت إلا خيالاً.
لكني أعرف جيبك، ستولي هارياً من ربك وترمي بجثتك الضخمة
فوقني.
وأحكك الخشبة المسندة متشحة بالسواد إلى قدميها، تبسل وتحوقل،
بينما تجرني على بطني في وادي الزناة ثم تلقني بي في ركن قصي مظلم.
حفرت النار من أمامي ومن خلفي.
وأبو بغلة يلهث في الظلمة وأنا ذبيحة معلقة من رجلها، فاقدة كل شعور.
لحيته الخشنة تملأ أنفي وفمي.

رب السلاسل والأصفاد يشرف على الجحيم من عرشه الذهب فيمد
فواحه الرهيبية ويغطني في واد من الحريق.
كلما تطاولت غطسي أكثر حتى ينجلي دماغي من الحر وأصبح.
عمر واقف بباب الجنة يسأله رضوان:
«هل معك من جواز؟»
يقول لا، ويسأل ورقة من السرو أو الصفصاف أو تكعية العنب.
فيرد عليه خازن الجنان «لا أخرج شيئاً من الجنة إلا بإذن من العلي
الأعلى قدس وتبارك».
بيكي عمر وينظر إلى أمي في «أقصى الجنة قريبة من المطلع إلى النار»
على رأسها إكليل من سنابل يابسة واقفة على «باب قصر من در قد
أعفيت من البؤس والضر»، يصيح بها:
يا أمي يم غفر الله لك فأنشأك شابة «كالزهرة الجنية»؟
تتطاول وتنظر إلى التنور فتراخي نخلة والنار تضطرم في رأسي. لا تعباً
كعادتها وتستدير بصفاقة لتقع على بطنها فوق عشرة من غلمان مخصيين
لا يشفون لها غليلاً.
تأوهات وأصوات وقيل فاقمة.
يكشف الله عن ساقه فإذا خلخاله يحدث شنة ورنة لكن القوم لاهون.
أنف فلوة في مؤخرة علي، ولسان عبدالله الخشن يجوس بين فخذي فاطمة.
أستيقظ على صوت التلفزيون الذي ينبعث بهدوء من غرفة عمر
طاقحة في بحيرة من العرق البارد.

• ما بين الأقواس من رسالة الغفران لأبي العلاء الميري.

لكيلا أستشعر فصامهم الذي شطر ذاتي نصفين. ودجلهم الذي
تعاونوا رجالاً ونساء على حرقه في تلافيف دماغي يوماً بعد يوم.
كي لا ألتفت ورائي فأرى البنت الحلوة التي كنت ذات حين.

عبدالله!
أجلاد أنت أم ضحية مثلي؟
هل كنت أحبك؟ أم أكرهك؟ أم أخافك؟ أم أشفق عليك؟ أم أؤف
منك؟

هل كنت مريضاً أم نصف مريض؟ هل ولدت مريضاً أم انهم
أمراضوك؟

أو كنت مهجوساً بالمرأة أم بالمعدة، بالزوجة أم بأسرارها الليلية؟
وأين هي أنا؟

أين السوري (٢) كما تلاطفتني جدتي؟

أين التفاحة كما يناديني عمر؟

أين سارة المسحوقة ألف مرة بيركاتهم أو لعناتهم أو تقواهم أو
فجورهم أو أباطيلهم أو أمراضهم أو أكاذيبهم؟

طريق طويل مشيته.

باختياري؟ لا.

رغماً عني؟ أيضاً لا.

أعرف أنني مشيته وحسب.

ومن دون أن أتوقف لحظة، لكيلا أشعر بروحي التي شاخت.

أو أبكي جسدي الذي قدمته عشيةً بعد عشيةً قرناً على مذبح

شهواتهم الحلال.

(٢) تحريف لاسم سارة كناية عن التذليل.